

نظرة أخرى عن

أقدم أصدقاء الإنسان من الحيوانات (١)

تعريب وتعليقات
سمالم الألووسي
سكرتير مجلة « سومر »

قبل حوالي اثني عشر ألف عام أو أكثر • باحثاً عن قوته (٢) يستخدم لذلك العصي والأغصان لم يكن في الشرق الأدنى سوى صورة واحدة • مذبذبة النهاية لاستخراج جذور النبات في فصول حياة الإنسان يتجول فيها بين الهضاب والسهول الجفاف ، حيث لم يكن الحصول على القوت آنذاك أمراً يسيراً • وقد مر وقت استعمل فيه الإنسان هذه العصي المذبذبة في طعن الحيوان وصرعه في مكانه • وفي تلك الحقبة من الزمن تحكّم الجوع في المجتمع كتحكّم المرض فيه وكان الرجال والنساء يستجمعون قوتهم ويطاردون قطعان الماشية ويعقبونها في تجوالها وترحالها عبر السهول والتلال خلال فصل الأنبات • ولقد كانت الأرض سحيحة بما تقدمه من قوت للإنسان بدرجة ان كل مائة ميل مربع من أراضي الشرق الأدنى

(١) نشرت صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون New York Herald Tribune في عددها الصادر يوم الاحد المصادف ٢ كانون الاول ١٩٥٩ مقالاً للمستر (ارل اوبل Earl Ubell) محرر قسم العلوم في الصحيفة المذكورة بالعنوان الآتي : *New Horizons in Science.*
Another Look at Man's Earliest Animal Friends.
وهو تلخيص للبحث القيم الذي نشره الدكتور جارلس أ. ريد Dr. Charles A. Reed استاذ علم الحيوان في كلية الصيدلة التابعة لجامعة (إلينوي Illinois) في مجلة العلم Science التي تصدرها الجمعية الأمريكية لتقدم العلم • American Association for Advancement of Science وقد آثرنا ترجمة هذا التلخيص لما فيه من معلومات طريفة عن محاولة الإنسان الأولى لتدجين الحيوان في الشرق الأدنى عامة والعراق خاصة •

(٢) يسمى هذا انطور « بطور جمع الثموت » Food Gathering Stage ومنه انتقل الإنسان الى طور آخر اطلق عليه « طور انتاج القوت » Food Producing Stage, (المعرب)

لا يكفي لاعاشة سوى اثني عشر شخصا يعيش عيشة هزال وضعف ، خائر القوى • ثم حدث أن توصل البشر الى اختراعين من اختراعاتهم الخمسة أو الستة الخطيرة وهما : الزراعة وتدجين الحيوان • ولا نعلم بوجه التحقيق متى بدأت جماعات البدو بزراع الارض ولعلها فعلت ذلك لأول مرة قبل أحد عشر ألف عام وباستمرار توفر القوت ارتفع عدد السكان الى (٢٥٠٠) شخص لكل مائة ميل مربع •

وللدكتور ريد كلمات لا تخلو من اللوم يقولها عن رجال الآثار التقليديين متهما اياهم بالاهمال والتقصير لعدم اهتمامهم بجميع المواد التي كانوا يعشرون عليها في تنقياتهم • فذكر ان جل اهتمام هؤلاء المنقبين ينحصر بما خلفه الانسان الاول أو استخدمه من أدوات وفنون وآلات ، أما زمان ومكان تدجين الحيوانات فكانوا يقدرونها تقديراً دون الاستعانة بأى برهان بيولوجى • وقد أضاف « ان الحبوب المتفحمة وحطام عظام الحيوان التي كان يجب أن تحظى بعناية لائقة وأهمية أولية حال الكشف عنها كانت في الغالب تهمل وترمى مع سائر الانقاض فوق المتارب » •

الماعز صديق الانسان :

وقد هاجم الدكتور (ريد) بعض المزاعم التي قيلت عن التدجين وضرب لذلك مثلاً بقوله « ان هناك أدلة ثابتة تشير الى أن تدجين الماعز حصل على أقل تقدير في الزمن الذي تم فيه تأنيس الكلب • وانه لم يبق أى دليل على الزعم القائل بوجود الكلب قبل أحد عشر ألف سنة في منطقة بحر قزوين • ويقول الدكتور (ريد) : « والآن

قد يبدو هذا السؤال محيراً • فان الحيوانات كانت متوحشة وغير أليفة فلا بد انها قاومت بضراوة أية محاولة لتأليفها وتسخيرها أو حجزها داخل حضائر أو زرائب ، ومن المحتمل ان الكثير من تلك الحيوانات لم يكن يتناسل ويتكاثر وهر أسير الانسان كما هي الحال لدى بعض الحيوانات المتوحشة في الوقت الحاضر •

نظرية عن تدجين الحيوان :

نشر الدكتور جارلس أ • ريد Dr. Charles A. Reed الاختصاصى بعلم الحيوان والجغرافى المؤرخ للصور القديمة أول بحث نقدى جامع لكافة المعلومات العلمية عن الأحداث التي وقعت

لا يمكننا أن نجزم فنقول بما كان يقال في عشرات السنين الماضية بأن الكلب كان أول حيوان دجنه الإنسان « • ولقد دجن الإنسان أغلب هذه الحيوانات الخمسة وهي أقدم الحيوانات المعروفة وأدخلها لأول مرة بيته في منطقة الشرق الأدنى في البقعة المسماة بالهلال الخصيب ، « وبما أن معلوماتنا عن الشرق الأقصى قليلة » كما يقول الدكتور جارلس ريد ، « فالأصلح أن أضيف العبارة الآتية : بقدر ما توصل علمنا إليه » •

نصر قديم :

لا مرأى في أن معظم الحيوانات جرى تدجينها في العصور القديمة ، فبالإضافة إلى ما ذكر فإن الحصان دجنه الروس في حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد والارنب في زمن الرومان وخنزير غينيا Guinea Pig دجنه الهنود الحمر في اميركا •

أما في القرن التاسع عشر فلم يدجن بنجاح سوى الجرذان التي تجرى عليها التجارب في المختبرات ونوع خاص من البيغاء (Parakeet) ويعرف الدكتور ريد التدجين « بأنها العملية التي تمكن بها الحيوان البشري (الإنسان) من السيطرة التامة على حياة حيوان آخر لاسيما ما يخص تحسين النسل • وعلى هذا لا يعتبر الفيل حيوانا مدجنا بل حيوانا أليفا فحسب » • ولكن تدجين الحيوانات التي تؤكل لحومها - كماعز والأغنام والابقار والخنزير جرى في الفترة المحصورة بين ٦٠٠٠-٩٠٠٠ سنة مضت •

وأول برهان معروف عن المساعز المدجن ويرتقي زمنه الى ٦٥٠٠ ق م • جاءنا من

مدينة أريحا Jericho الواقعة في الضفة الغربية من الاردن وكذلك من موقع جرمو Jarmo في العراق (٤) من الزمن نفسه وقد كان الدكتور ريد أحد أعضاء بعثة التنقيب الموفدة من قبل المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو في الولايات المتحدة التي نقتبت في هذا الموقع •

أما البرهان الثاني فقد جاء من الوركاء (٥) في جنوبي العراق حيث دجنت الأغنام والابقار بالإضافة إلى الكلاب والماعز ، وكان ذلك في حدود ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد • وفي خلال تلك الحقبة من الزمن أو بعدها بقليل حدث أن دجن الخنزير في (أناو Anau) الواقعة في شرقي بحر قزوين • أما في مصر فإن تربية معظم هذه الحيوانات لم تتم إلا بعد مدة تتراوح بين ١٠٠٠-٥٠٠ عام •

(٤) ورد في صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون المذكورة ان جرمو في ايران والصواب انها في العراق على مسافة يسيرة في بلدة جمجمال وقد نقتبت في هذا الموقع بعثة امريكية اوفدها المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو برئاسة البروفسور روبرت بريدوود Dr. Robert Braidwood وقد باشرت تنقيبها في ٤ مايس ١٩٤٨ • وكان الدكتور ريد واحد اعضاء هذه البعثة • راجع :

(١) سومر المجلد ٤ (١٩٤٨) ص ٢٩٠ - ٢٩٢ والمجلد ٧ (١٩٥١) ص ٢٠٥ - ٢٠٧ والمجلد ٩ (١٩٥٣) ص ٢٩٨ •

(٢) Sumer: Vol. VII, 1951, pp. 99-104, *ibid*, pp. 105-106, and Vol. X, 1954 pp. 120-138. (المغرب)

(٥) الوركاء مدينة سومرية واقعة بقضاء السماوة على بضعة كيلومترات من الضفة الشرقية للفرات وقد نقتبت فيها بعثة المانية •

(المغرب)

ومن المدهش حقا ابتكار الانسان لتلك
 الوسائل والاساليب التي مكنته من السيطرة على
 الحيوانات المتوحشة - غير الليفة وقد ذكر
 الدكتور ريد « بأن هناك بعض العوامل في طبيعة
 المخلوقات المدجنة ما يجعلها ذات قابلية للتدجين » •
 « ومن الممكن ان بعض الحيوانات الاولى كانت
 تؤخذ صغارا وترضع كالطفل من ثدي النساء
 المرضعات وان تلك الصغار كانت من الحيوانات
 المرضعة وبعد أن تم تدجين الحيوانات المرضعة
 صار من السهل تربية الحيوانات الاخرى
 باطعامها من الحليب المتوفر • ومن المحتمل ان
 المرأة قد لعبت دورا بارزا في هذا المضمار لما لها
 من حنو وقابلية للعناية بصغار الحيوان • وبعد هذا
 كان الحيوان النافر المشاكس يستغنى عنه شيئا
 فشيئا • وهكذا تحقق تدجين الحيوان وتمت
 تربيته » •



مركز تحقيقات كميوتور علوم رسدي